مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (39) العدد (4) 2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series Vol. (39) No. (4) 2017

The history of medical building in Damascus

Shirin Abyad*

(Received 23 / 3 / 2017. Accepted 13 / 7 / 2017)

□ ABSTRACT □

City of Damascus represents the Syrian leading example among the global cities by its great historical role in cultural fields and science development; the content of the research clarifies the leading historical role of Damascus in medical architecture, wherein Hippocrates established the first medical buildings and schools, 800 years ago the Arab adopted the Parisian Jundishapur principles in their cities, where, Muawiya and Alwalid established first Arab medical buildings, which was indicating to the progress of medical science in Damascus at that time, through the history, Syrian doctors were ambassadors of health and science to all world`s cities; the research emphasized that, the prosperity of science must be accompanied by the flowering of the civilized buildings and structures where these sciences exercises and progressing, the research has been classified historically the ancient medical facilities in Damascus, to correspond with the importance of Damascus role as an example of the Syrian cities that were beacons of science, culture and civilization all over the world, the documentation of the history of the place and the architectural works, which contained this activity, and located it within the city, considered as a remarkable work in order to show the importance of historical Medical Buildings through the history of medical science evolution; the research was built based on historical references, researches, and documents that date the history of such facilities.

Key words: Medical construction- Medical science- Damascus City- Historical buildings- Hospitals- Bimarstan- Kstkhanh- Missionary hospitals.

***Faculty of Architecture, Damascus University, Damascus, Syria.**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (39) العدد (4) 2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series Vol. (39) No. (4) 2017

تاريخ الأبنية الطبية في دمشق

شيرين الأبيض*

(تاريخ الإيداع 23 / 3 / 2017. قُبِل للنشر في 13/ 7 / 2017)

□ ملخّص □

تمثل مدينة دمشق أنموذجاً من المدن السورية الرائدة عالمياً بدورها التاريخي الكبير في المجالات الحضارية وتطور العلوم؛ يوضح مضمون البحث الدور الريادي التاريخي لدمشق في مجال العمارة الطبية، ففيها أبقراط أنشأ أول مبانيه ومدارسه الطبية، قبل 800 سنة من مدرسة جنديسابور الفارسية التي اعتمد أسسها العرب في مدنهم، وبها أنشأ الخلفاء معاوية والوليد أول مباني طبية عربية، وهذا ما يدل على تقدم العلوم الطبية في دمشق آنذاك، وعلى مدى التاريخ كان الأطباء السوريين سفراء العافية والعلم إلى جميع مدن العالم في جميع العصور حتى الآن؛ وقد أكد البحث على أن ازدهار العلوم لابد وأن يرافقه ازدهار حضاري في الأبنية والمنشآت التي تمارس فيها هذه العلوم وتتقدم، وقد صنف البحث المنشآت التاريخية الطبية في دمشق تاريخياً لتتوافق مع أهمية ودور دمشق كنموذج للمدن السورية التي كانت منارات علم وثقافة وحضارة للعالم، إن توثيق تاريخ المكان والأعمال المعمارية التي احتوت هذا النشاط، وتحديد موقعه في المدينة، يُعد عملاً هاماً بهدف بيان أهمية المنشآت الطبية التاريخية إلى جانب تاريخ تطور العلوم الطبية؛ وقد بُني البحث استناداً للمراجع التاريخية والأبحاث والوثائق التي تُؤرخ لمثل هذه المنشآت.

الكلمات المفتاحية: المنشآت الطبية– العلوم الطبية– مدينة دمشق– المباني التاريخية– المشافي– البيمارستان– الخستخانة– المشافي التبشيرية.

***كلية الهندسة المعمارية– جامعة دمشق – دمشق– سورية.**

مقدمة:

تعتبر سورية مركزاً لأقدم الحضارات على وجه الأرض التي قامت منذ فجر التاريخ في المنطقة الممتدة من ساحل البحر الأبيض المتوسط غربا حتى منطقة الجزيرة شرقا، والتي قامت على أرضها الكثير من الحضارات القديمة؛ وقد ساهمت هذه الحضارات بتطوير العلوم المختلفة وأضافت إليها الكثير؛ فهي منطقة عامرة حاضرة عبر التاريخ، تتالت عليها الحضارات القديمة، تبوأت مكانة علمية ودينية واقتصادية متميزة، بشكل تراكمي بفعل استمرارها بالحياة؛ فكانت تتبادل جميع أنواع العلوم والثقافات مع تلك الحضارات الوافدة، فتأخذ منها وتضيف إليها وتزداد مكانة ورفعة؛ وتعد دمشق من أهم المدن التي أدت دوراً هاماً في جميع مناحي الحياة عبر التاريخ بسبب مميزاتها المكانية وغنى موقعها الجغرافي على عقدة طرق رئيسية؛ وقد ساهمت دمشق كما جميع المدن السورية في نشر العلوم وتطويرها عبر التاريخ؛ وقد اهتمت الحضارات السورية بأخلاق الإنسان وصحته وجسده، فنشرت العبادات والأديان لمعالجة الجانب الروحي للإنسان، واهتمت بالعلوم للحفاظ عليه وتسهيل سبل الحياة، وقد استمر السوريون بتطوير العلوم وفلسفتها عبر الحضارات المتراكمة، وأضافوا إليها ما توصلوا إليه.

وقد أقيمت عدة مؤتمرات عن تاريخ الطب والأطباء والعلوم الطبية في المنطقة؛ وتظهر **الإشكالية** في عدم توثيق الأعمال المعمارية التي احتوت هذا النشاط، إضافة إلى عدم تحديد مكانها وموقعها في المدينة، وغالباً ما كان يبدأ وينتهي تاريخ المباني الطبية في العصر الذهبي للبيمارستانات خلال القرنين السادس والسابع للهجرة، وعلى الرغم من أهمية هذه الفترة في تاريخ المنشآت الطبية، إلا أنها تمثل مرحلة فحسب، فهناك منشآت طبية قبل هذه الفترة، واستمر إنشاء المزيد بعدها.

وتأتي **أهمية** البحث من خلال التحليلات التاريخية التي تؤكد وجود المنشآت الطبية في جميع المراحل التاريخية بدمشق وليس في مرحلة دون سواها، خصوصاً في المراحل التاريخية السابقة على البيمارستانات، وذلك **بهدف** ربط المنشآت الطبية التاريخية بتاريخ تطور العلوم الطبية من خلال عرضها بشكل متسلسل وموثق مع توصيف هذه المباني.

وقد بُني البحث استناداً للمراجع التاريخية والأبحاث والوثائق التي تُؤرخ لمثل هذه المنشآت، وقد تم اعتماد المنشآت العامة والتي هي بمثابة مشافي دون التعرض للمنشآت الخاصة التي يمكن تشبيهها بالعيادات، لأن معظم الأعمال الخاصة كانت تزاول في جزء من مسكن الطبيب؛ وقد عمد البحث إلى تطبيقات المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، حيث قام بجمع المعلومات والروايات التاريخية من المصادر والمراجع وتحليلها بشكل موضوعي بما يخدم موضوع الدراسة.

الطب القديم:

يحتل علم الطب ومهنته مكانة رفيعة في تاريخ العلوم لأهميتهما وعلاقتهما بصحة حياة الناس؛ وقد عرف النّاس الطبّ والأطبّاء منذ القدم، ونسبت المجتمعات القديمة ظواهر الموت والمرض إلى أسباب متعلقة بالسحر والجن والشياطين والنجوم والآلهة، لذا ارتبطت بداية العلوم الطبية بالعرافين والكهنة والمعابد، بالإضافة إلى أدوية الأعشاب البدائية؛ فقد كان الساحر طبيباً يقصده الناس للتداوي بسحره، بالإضافة إلى الكهان الذين يعتقدون أن الأمراض من الآلهة ولا شفاء منها إلا بالتوسل إليها، وكان التوسل للآلهة بقصد الاستشفاء عادة شائعة عند المرض، وكان الكهنة والسحرة يوزعون الحجب والتمائم ويرتلون التعاويذ لطرد شياطين المرض، وعلى هذا فقد كانت المعابد ومحاريب العرافين والسحرة بمثابة أماكن للاستشفاء والتطبب؛[1] طور القدماء هذا المفهوم في الإطار

الديني، فأصبح المعبد هو الملجأ الأساسي للاستطباب الذي يوفر كهنة أطباء متخصصون في العلوم الطبية؛ وقد كانت تلك الخدمات تاريخياً مجانية،[2] وأتت كلمة "Hospital" المرادفة لكلمة مستشفى في الزمن المعاصر من كلمة "hospitality" وتعني الضيافة.[3]

وقد أشارت المخطوطات القديمة[4] إلى أن الطب الفرعوني،[5] كان في غاية التطور بالنسبة لزمانه، بل وساهم في التأثير على الطب الإغريقي الذي لم يختلف عنه في تعاطيه مع الدين كثيراً، فكان الطب يرتبط بالدين بشكل وثيق والاستشفاء مرهون برضا الآلهة، وخصصّت اليونان آلهة بمعابدها للاستشفاء،[6] مثل معابد "أسقليبيوس– Asclepius"، واقترنت أسماء بعض الآلهة بالطب في الميثولوجيا الإغريقية مثل أبولو الذي تحدثت عنه "الإلياذة– Iliad" كجالب ومانع للطاعون، وكانت الآلهة "هيرا– Hera" وابنتها "ايليثيا– Alicia" حافظات للنساء، أما الآلهة "هيجيا– Hygieia" ابنة "اسكليبيوس" فكانت مجسدة للصحة ومنها اشتقت كلمة (صحة= هيجيا) في الإغريقية؛ وكان العلاج في هذا الهيكل يقوم على خليط من الأدوية التجريبية والطقوس الدينية والرُقى السحرية التي تؤثر في خيال المريض؛ وتدرج الطب الإغريقي من الأساطير والغيبيات إلى الملاحظة والتأويل المنطقي، وقد أخرجت "المدرسة الفيثاغورثية– Pythagoreanism" أوسع أطباء اليونان شهرة قبل أبقراط– Hippocrates الذي يُعد بداية حقبة واقعية تم خلالها محاولة فصل التأثير الديني على الطب، حيث أنشأ معهداً طبياً مستقلاً يقوم فيه بتدريس الطب ومعالجة الناس وتدوين مؤلفاته،[7] وتعد مدرسة الإسكندرية ذروة مجد الطب اليوناني؛ وعندما كانت سورية تحت سيطرة الاسكندر الكبير انتشر مناخ تحضر كلاسيكي غربي، وخلال تلك الفترة كانت دمشق مستعمرة يونانية، وقد خُطّطت على غرار المدن اليونانية فالمدينة شبكة منتظمة من الشوارع ضمن شكل مستطيل، ومن المؤكد أنها تمتعت بالرقي ذاته للمدن اليونانية من حيث العلوم والعمران.

ومن الجدير بالذكر أنَّ أبقراط في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، كان قد تنقل بين حمص ودمشق، وكان يقيم في بساتين دمشق للرياضة والتعليم في مكان بجانب مسكنه يُعرف بصفة "أبقراط"،[8] وبذلك تكون دمشق أول مدينة في التاريخ عُلّم فيها الطب بصورة نظامية كما بُني فيها أول بناء طبي تعليمي، وقد أورد ابن أبي أصيبعة كلام جالينيوس عن أبقراط، قال: "ويُقال إنه أول من أوجد المنشأة الطبية واخترعه"، وذلك لأنه أنشأ بالقرب من داره موضعاً مفرداً للمرضى،[9] وهو موضع في بستان كان له، وجعل فيه خدماً يقومون بمداواتهم، وسماه "أخسندوكين" [10]: أي مجمع المرضى؛ وهذا ما يؤكد على أن أول مبنى طبي بني في دمشق[11].

وقد أتى الطب الروماني متمماً لسابقه الإغريقي ومحسّناً له، فقد طبق الرومان نظام الصحة العامة والخاصة، حيث أحدثت مستمعات "Auditoria" لتعليم الطب يتولى التعليم فيها أساتذة تعترف بهم الدولة وتؤدي إليهم رواتبهم، وكان يطلق على خريجي هذه المعاهد اسم "أطباء الجمهورية"، يمارسون الطب بصفة قانونية، وقد

وصل الطب العسكري في العام 100 ميلادي إلى أرقى ما وصل إليه في الزمن القديم، فكان في كل فيلق /24/ جراحاً وهيئة للإسعاف الأولي، وكان بالقرب من كل معسكر هام مستشفى عسكري، وافتتح الأطباء مستشفيات خاصة "Valetudinaria"، تطورت منها المستشفيات العامة في العصور الوسطى، كما هو موضح بالشكل رقم (1) الذي يمثل مستشفى روماني نموذجي؛ وكانت الدولة تعين الأطباء لمعالجة الفقراء مجاناً وتؤدي لهم أجورهم، أما الأغنياء فكان لهم أطباؤهم الخصوصيون وكان رؤساء المداوين "Archiarti" يعنون بالإمبراطور وأسرته، وخدمه وأعوانه، وتؤدى لهم على ذلك أجور طيبة، وكانت بعض الأسر تتعاقد أحياناً مع بعض الأطباء على أن يعنوا بصحتها ويداووها من أمراضها مدة معينة.

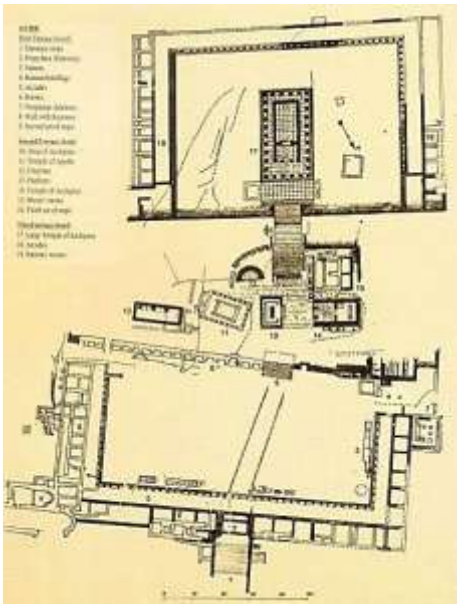

الشكل (1) نموذج من المعابد الصحية اليونانية.

المصدر:
http://www.novaesium.de/news/1998-1220-valetudinaria.htm

إضافة لما سبق، فقد اعتمدت الإمبراطورية الرومانية إشادة المستشفيات الثابتة المجهزة بالأدوات الطبية في جميع المدن على شكل مؤسسة طبية، خصوصاً في المدن العسكرية الحدودية البعيدة على الرغم من توفر حالة من السلام النسبي، توقعاً منها لعقد سلسلة من الحروب بهدف التوسع الإقليمي؛ دُعيت باسم Aletudinaria وكانت تتألف من جزء مركزي أساسي، وسلسلة غرف مُخدمة بالممرات، تتسع الغرفة الواحد لأربعة أو ستة أشخاص، وكانت تستخدم للاستشفاء والراحة للجنود، بالإضافة إلى منح الراحة والإقامة للمسافرين أصدقاء الإمبراطورية. [12]

أما دمشق فقد أصبحت في الفترة الرومانية واحدة من المدن العشر الرومانية[13] – Deca polis دائمة الأهمية في التحالف العسكري، وازدهرت تجارتها بين الشرق والغرب وانتشرت البضائع الدمشقية في كل الأصقاع؛ وقد كان هذا الغنى التجاري أساساً لأن تكون دمشق واحدة من أهم المدن الرومانية، بما تطلب توسعاً وتعديلاً للمدينة لتضم مبان هامة ضخمة؛ حيث كانت العمارة في هذه المدن آنذاك متشابهه إلى حد كبير، ذات طابع روماني في المنشآت مثل المدرجات والأسواق والبوابات وغير ذلك من المباني الخدمية ومنها المستشفيات، فهذه المدن كانت تنال الاهتمام الكبير لاعتبارها البوابة الشرقية للإمبراطورية الرومانية، وكان لبعضها شأن كبير حيث وصفت بأنها من أروع المدن الرومانية بعد روما؛ ولكن لم تشر المراجع المتوفرة عن الحقبة الرومانية إلى مكان وجود مبنى Aletudinaria في دمشق.

ومع سقوط الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الرابع الميلادي، غدت دمشق عاصمة للمقاطعة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، وحافظت في هذه الفترة على ازدهارها الاقتصادي والاستراتيجي؛ كما تم تحصين أجزاء من المدينة عسكرياً لحماية الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ضد هجمات الفرس؛ واستمرت الممارسات الطبيّة البيزنطية معتمدة على الممارسات الطبية التي وضعتها سابقتيها الحضارتين اليونانية والرومانية، واستدعى إعلان المسيحية كديانة رسمية في الإمبراطورية الرومانية إلى التوسع في توفير الخدمات والرعاية الاجتماعية، وبعد مجمع نيقية– Council of Nicaea في العام 325م، تم بناء مستشفى في كل مدينة قرب الكاتدرائيته،[14] وقد شملت بعض المشافي مساكن للأطباء والممرضين ومبان منفصلة لفئات مختلفة من المرضى؛[15] مثل مرضى الجذام؛[16] كما حوت بعض المستشفيات على مكتبات وبرامج تدريب، وجمع الأطباء دراستهم الطبية والدوائية في مخطوطات حفظت في مكتباتها؛ وبالتالي ظهرت بشكل أوضح الرعاية الطبية للمرضى في معنى ما نعتبره اليوم المستشفى، ويوضح الشكل رقم (2) النموذج المعتمد لبناء المستشفيات في جميع المدن؛ وقد حافظت دمشق على مكانتها خلال الفترة البيزنطية وغدت عاصمة ولاية "فينيقيا الثانية" حين قسّم البيزنطيون البلاد إلى أربعة ولايات بموجب التترابولس[17] السوري Syrian Tetrapolis ؛[18] وظهرت الكنائس والأديرة كمنشآت معمارية جديدة، شيّد منها حوالي خمس عشرة كنيسة داخل الأسوار وخارجها، بعضها اندثر وبعضها تجدّد.

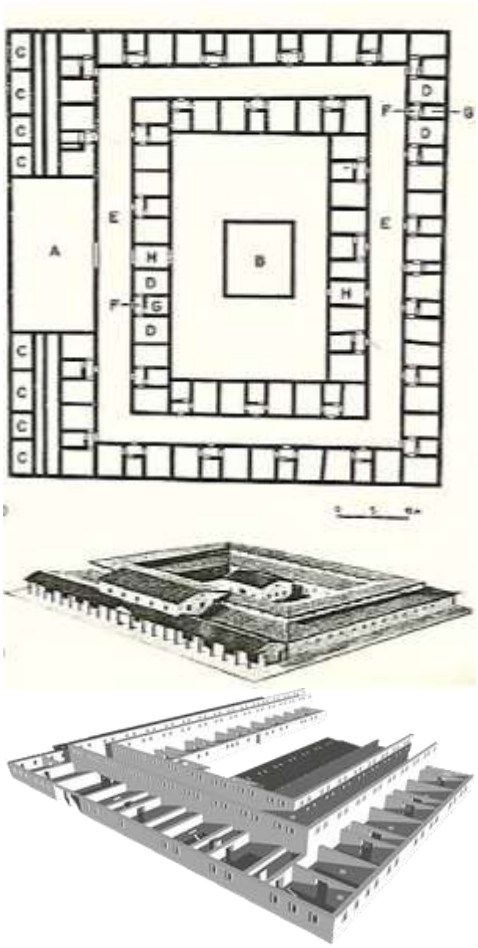

الشكل (2) أحد نماذج المشافي الرومانية– Aletudinaria.

المصدر: http://www.novaesium.de/news/1998-1220-valetudinaria.htm

وتشير المراجع إلى أسماء بعض هذه الكنائس وأمكنتها، حيث احتلت كنيسة مار يوحنّا ركناً من أركان معبد جوبيتر، ثم هُدمت عند بناء الجامع الأموي، واحتلت كنيسة المصلّبة مكاناً بالقرب من تقاطع مصلّبة التترابيل التي تقوم عند تقاطع الشارعين الرئيسين الطويلين Decumanus Maximus، من جهة، والـ Cardo Maximus من جهة أخرى، وقد تهدّمت في العهد الأيوبي وأعيد بناؤها، وهناك أيضاً كنيسة المقسلاط في منتصف الشارع المستقيم، وكنيسة مريم الواقعة داخل باب شرقي، وكنيسة اليعاقبة عند باب توما؛ وأمّا الأديرة، فقد كانت عديدة في أطراف المدينة وضواحيها، اشتهر من بينها "دير مُرّان" في سفح قاسيون الغربي، قريباً من الرّبوة، ودير سمعان– عند الحرش اليوم بأعلى الفواخير وبير التوتة– ودير النساء ودير الرّهبان ودير الحوراني، كانت بسفح قاسيون شمالي المدينة،[19] كما ذكر ابن عساكر؛[20] ومما لاشك فيه أن دمشق كانت تتضمن أبنية طبية خلال الفترات الحضارية: اليونانية، والرومانية لأنها كانت مدينة عسكرية هامة؛ والكلام ينطبق على الفترة البيزنطية، خصوصاً أنها كانت منافسة في أديرتها وكنائسها للقسطنطينية.

وكان الشفاء عند العرب في ثلاثة: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار، وإذا عجز الطبيب عن شفاء مريضه لجأ إلى الكي وهو آخر الدواء؛ وكان طب الجاهلية هو طب العرف والعادة، طب موروث يداوي بالوصفات التي داوى بها الآباء والأجداد دون تبديل أو تغيير.

ومع دخول الإسلام كانت العلوم الطبية مبنية على التجربة، إلا أنهم لم يعرفوا وجود أماكن خاصة لمعالجة مرضاهم، وكان أول مكان مخصص لتمريض الجرحى مكاناً من مسجد النبي،[21] أقيمت فيه خيمة لمعالجة جرحى غزوة الخندق [22]؛ ولم تختلف بساطة العلوم الطبية خلال فترة الخلفاء الراشدين؛[23] وتشير الكتب التاريخية إلى حصول تنامي في تطور العلوم الطبية عند العرب من خلال نموذج البيمارستان الفارسي "مدرسة جنديسابور"[24] الذي كان يعمل بنشاط عندما فتح العرب مدينة جنديسابور خلال فترة خلافة عمر بن الخطاب. [25]

بيمارستانات دمشق:

أصبحت دمشق عاصمة الأمويين بعد زوال حكم البيزنطيين لحوالي مائة عام وبدءاً من حوالي عام /661/م؛ واستمر اهتمام العرب بالعلوم الطبية خلال الفترة الأموية، وكانت الحملات الطبية جزءاً من الجيوش وقوافل الحجيج؛ وقد بدأ المسلمون بتشييد مباني طبية في دمشق باكراً، ويعتبر الخليفة معاوية بن أبي سفيان أول من أنشأ مبنى طبي تخصصي بشكله المنظم في عاصمة الدولة الأموية دمشق في العام /679/م تحت المئذنة الغربية من الجامع الأموي.

كما أنشأ الوليد بن عبد الملك وذلك في العام /88/هـ، /707/م داراً للضيافة على شكل مبنى طبي تخصصي أسكن به العميان وحبس المجذومين على غرار بيمارستان[26] جنديسابور؛ وبهذا تُعتبر دمشق أول مدينة في العالم الإسلامي يُبنى فيها منشأة طبية،[27] وهو دليل على مدى المكانة العلمية للمدينة في التاريخ، وعراقتها في المجال الطبي في ذلك العصر؛ ومن ثم انتشرت الأبنية الطبية في بلاد المشرق العربي[28].

ومن الجدير بالذكر أن دور دمشق الطبي تراجع مع انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد بانتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين حوالي العام 750م، حيث فقدت دمشق حينها الكثير من أهميتها، ولكنها حافظت على مكانتها في العلوم الطبية، وصار يُستفاد من إمكانات الأطباء فيها، وكيفية إدارتهم لهذه المؤسسات الصحية، إذ تذكر كتب الرحالة أن الوزير العباسي علي بن عيسى الجراح أمر ببناء مشفى في سنة 302هـ وأعطى رئاسته إلى أبي سعيد بن يعقوب الدمشقي، وبفضل هذا الطبيب بني في بغداد خمسة بيمارستانات، وبفضلة وإرشاداته بنى العديد من البيمارستانات وأشرف عليها.

وهكذا انتشرت المباني الطبية التخصصية خلال العصر العباسي، وعُممت تسمية البيمارستان وبدأت تأخذ شكلاً حضارياً انتظمت فيها مهنة الطب،[29] وأصبح في كل مدينة بيمارستان كبير عام على الأقل،[30] يفوق بيمارستان جنديسابور الذي ظل أنموذجاً حياً حتى الفترة العباسية؛ ومما لا شك فيه أن هذه الفترة شهدت تطوراً بالغ الأهمية في العلوم الطبية انعكس بشكل واضح على تطور المباني المخصصة لذلك، فكانت البيمارستانات تضم أجزاء عديدة وأقسام للبحث والعلاج والتعليم ومكتبات تخصصية وخزائن الأدوية، وأوقفت لها الأموال الطائلة.

كانت البيمارستانات ظاهرة لم يسبق العرب إليها أحد في ذلك الوقت في المنطقة، إذ جاءت حضارية من حيث البناء والتقسيم والاختصاصات واختيار الأماكن، وإنسانية تستوعب كل الناس الفقير والغني والمعالجة والنفقات مجانية، وأخلاقية لأنها كانت تحافظ على إنسانية الإنسان دون أن تشعره بأن أحداً يتفضل عليه، أو أن مدين بالفضل لغيره.

وكان بيمارستان الدقاق أشهر بيمارستان في العالم بني في أواسط القرن الرابع الهجري في العام 368هـ/ 978م في دمشق، وهو ملتصق بالجامع الأموي، ويعمل فيه /24/ طبيباً، وكان العلاج والأدوية يمنحان فيه بالمجان

واستمر ذلك لفترة تجاوزت الثلاثة قرون، وسمي البيمارستان بـــ"الدقاقي" في أواخر القرن الخامس على اسم ملك دمشق آنذاك دقاق بن تتش السلجوقي.

وتظهر البيمارستانات في دمشق خلال العهد الزنكي، خصوصاً أيام السلطان العادل نور الدين الزنكي الذي شيد بيمارستاناً كبيراً يحتوي على مدرسة للطب وعيادات تخصصية، ويقوم بإجراء العمليات ومعالجة الأمراض وتوزيع الأدوية.

وتشير المراجع التاريخية، إلى أن معظم المباني الطبية مثل البيمارستانات وغيرها قد تهدَّم واضمحل بسبب الإهمال وعدم رعايتها وصيانتها وترميمها، وبتأثير العوامل الطبيعية مثل الزلازل التي أصابت المنطقة في الأعوام: /460/هـ - /1067/م، /491/هـ - /1097/م، /597/هـ - /1200/م، كما تهدَّمت بسبب الحروب التي اجتاحت المنطقة مثل الحروب الصليبية والغزو التتري في العام /696/ هـ - /1256/ م؛[31] ويمكن رصد عدد من المنشآت الطبية في دمشق وفق الجدول الآتي:

الجدول رقم (1) بيمارستانات دمشق

المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى المردعية المدرجة في الجدول.

الاسم	المؤسس	موقعه	السنة	المرجعية
البيمارستان الصغير أو العتيق أو القديم.	معاوية وابنه	تحت مئذنة قايتباي- المئذنة الغربية في الجامع الأموي	بداية الفترة الأموية وجدد عدة مرات	منادمة الأطلال ص: 260
بيمارستان الوليد	الوليد بن عبد الملك	بالقرب من الجامع الأموي	88 هـ/707م	موجز تاريخ الطب ص: 22
البيمارستان الدقاقي	دقاق بن تتش السلجوقي	ملتصق بالجامع الأموي	368 هـ/ 978 م	صباغ ص: 79- 82
البيمارستان الشرقي	غير معروف	الصالحية العتيقة	غير معروف	القلائد الجوهرية ج1/ ص 348
بيمارستان الجبل	غير معروف	النيرب	غير معروف	موجز تاريخ الطب ص: 24
البيمارستان النوري أو النوري الكبير أو الجديد	الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي	زقاق المرستان في محلة سيدي عامود- الحريقة	549 هـ	منادمة الأطلال ص: 259
البيمارستان القيمري أو بيمارستان الصالحية	الأمير سيف الدين أبو الحسن علي القيمري	الصالحية جانب جامع الشيخ محي الدين	656 هـ	منادمة الأطلال ص: 260

وقد أورد بدران في كتابه[32] ذكراً لعدد من المدارس الطبية المندرسة المختصة بعلم الطب في دمشق، وتمت مقارنتها بما أورده النعيمي في كتابه[33] وفق الجدول الآتي:

الجدول رقم (2) مدارس الطب في دمشق

المصدر: من إعداد الباحث استناداً لكتاب بدران: منادمة الأطلال.

الاسم	المؤسس	موقعه	السنة	المرجعية
المدرسة الدخوارية	الدخوار عبد الرحيم	الصاغة العتيقة جنوب الأموي	615 هـ	منادمة الأطلال ص: 252
المدرسة الدنيسرية	عمادالدين الدنيسري	غربي باب البيمارستان النوري	664 هـ	منادمة الأطلال

				ص: 255
المدرسة اللبودية أو المدرسة اللبودية النجمية	شمس الدين بن اللبودي	باب السريجة ملاصقة لبستان الفلك المشيري	686 هـ	منادمة الأطلال ص: 257

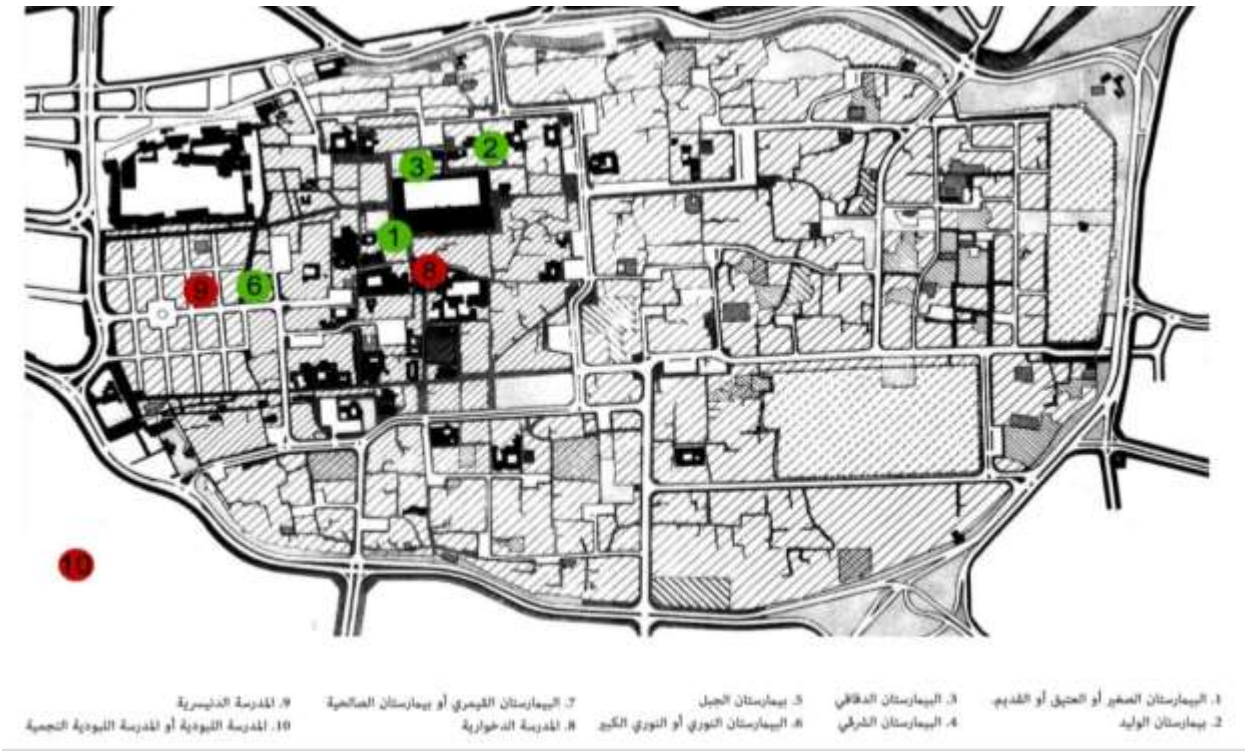

الشكل رقم (3) مخطط يظهر توضع البيمارستانات والمدارس في مدينة دمشق داخل السور

وقد أدت البيمارستانات في العصور الوسطى دوراً علاجياً وتعليمياً، إذ يُعتبر البيمارستان الأساس الحقيقي للمستشفيات المعاصرة، حيث برز فيه التركيز على العلاج والتعافي بدل التطبيب والرعاية الروحية؛ واعتمد على التمييز بين مختلف أنواع الأمراض النفسية والباطنية والمعدية، وكان هناك تفريقاً بين المصحات النفسية والمستشفيات العامة والمدارس والجامعات الطبية؛ وكان البيمارستان ينقسم إلى عدة أقسام بينها قسم للأمراض الباطنية وآخر للجراحة وقسم للكحالة– أمراض العيون، وقسم للتجبير؛ كما كان لكل مريض سرير وفرش كامل خاص به مثل: آنية الطعام والغطاء واللباس لمنع انتشار الأوبئة، وأعطاؤه بعض الخصوصية في الرعاية؛ وقد تميزت البيمارستانات بوجود المياه الجارية داخل المباني، وبالإيوانات المنفصلة عن بعضها، والتي تتوضع حول صحن مركزي ما يمنح كل إيوان خصوصيته وتهويته الجيدة من ثلاثة جوانب ويساعد على احتواء العدوى.

وقد استمرت البيمارستانات في العمل حتى أواخر القرن التاسع عشر، لكنها تأخرت علمياً وتطويرياً واستحالت في النهاية إلى أماكن لحجز المرضى النفسيين والمجانين؛ وقد أكملت مستشفيات أوروبا عصر التنوير مسيرة البحث والتطوير العلمي.

ويمكن إدراج نماذج من البيمارستانات التي لا تزال مبانيها قائمة في مدينة دمشق على الشكل التالي:

أ- **البيمارستان النوري:** يقع في الحريقة جنوب غرب الجامع الأموي. بناه السلطان العادل نور الدين الشهيد سنة 549هـ، تعرض خلال الحقب الطويلة إلى تعديلات شتى؛[34] يُعتبر المدخل الرئيسي للبيمارستان الأثر الأكثر ثراءً في عناصر الواجهات الخارجية حيث يفتح بالواجهة الغربية، وينفتح باب جانبي من الجهة الجنوبية على فسحة سماوية شبه مربعة تتوسطها بركة ماء مستطيلة، ويحيط بالفسحة أربعة أواوين، تتفتح على جانبي كل إيوان غرفتان وكل فراغات هذا الأثر مسقوفة بالعقود المتقاطعة، وتحمل جدران الدركاه أشرطة كتابية تشير لأعمال الإصلاح التي تمت في العصر المملوكي وسقفت بقبة عالية تغطيها المقرنصات من الداخل والخارج[35].

الشكل رقم (4) مسقط البيمارستان النوري

المصدر: Damascus, Weper Stefan,

الشكل رقم (5) إيوان البيمارستان النوري

المصدر: عدسة الباحث 2016.

الشكل رقم (6) الفناء الداخلي للبيمارستان النوري

المصدر: عدسة الباحث 2016.

الشكل رقم (7) قبة المقرنصات فوق المدخل

المصدر: عدسة الباحث 2016.

ب- البيمارستان القيمري: يقع في حي الصالحية الدمشقي، يُنسب إلى بانيه الأمير الكبير سيف الدين علي بن يوسف بي أبي الفوارس القيمري باني المدرسة القيمرية الصغرى وقد توفي سنة 654هـ ودفن في القبة التي بناها تجاه البيمارستان؛ بوشر بالبناء سنة 654هـ كما يفهم من نقش وجد في البيمارستان وتمت العمارة سنة 656هـ، وقد كان البيمارستان من أحاسن الدنيا به الأشجار المخضرة والمياه والمناظر وبه قاعتان لصيقهما حاصلان شرقي وغربي لتفرقة ذلك في كل يوم اثنين وخميس، وكان في شرقيه مطبخ، وفي غربيه قاعة للمجانين، وفي وسطه بركة عظيمة من ناعورة على نهر يزيد؛ وفيه خدام للرجال والنساء وكحال وطبيب وشرباتي. [36]

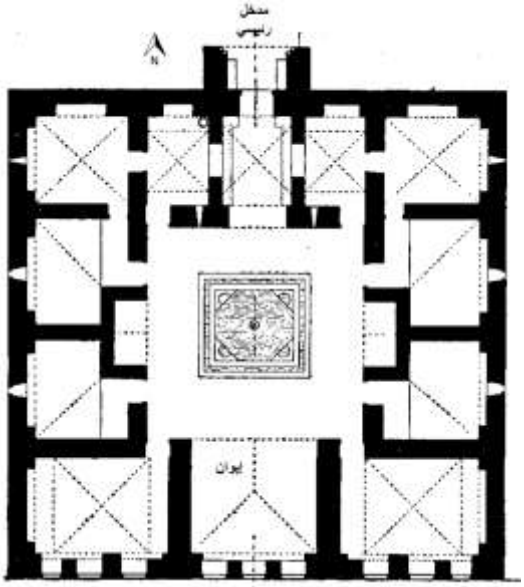

الشكل رقم (8) مسقط البيمارستان القيمري
المصدر: العلبي، أكرم، خطط دمشق.

الشكل رقم (9) الليوان الرئيسي.
المصدر: عدسة الباحث 2016.

الشكل رقم (10) قبة البيمارستان القيمري.
المصدر: عدسة الباحث 2016.

الشكل رقم (11) المدخل الرئيسي.
المصدر: عدسة الباحث 2016.

المستشفيات العثمانية:

لم يُقدم العثمانيون خلال فترة حكمهم على إشادة مباني طبية تذكر في دمشق، حيث تم الاعتماد على البيمارستانات القديمة لتقديم الخدمات الطبية للسكان؛ ولا تفيد المراجع التاريخية بذكر منشآت صحية بعد العصور الوسطى حتى الفترة العثمانية المتأخرة، حيث يوجد في دمشق ذكر لمبنيين طبيّين أُنجزا في الفترة المتأخرة لحكمهم، يمكن عرضهم على الشكل الآتي:

أ- **الخستاخانة الميرية العثمانية:** وهو المستشفى العثماني العسكري "الخستاخانة الميرية العثمانية" المُشيد في العام 1865، والذي أمر ببنائه[37] إبراهيم باشا المصري، بالقرب من بوابة الصالحية، وقد حل محله لاحقاً مبنى سينما الحمراء والمباني المجاورة وصولا الى بوابة الصالحية، ولا توجد مخططات أو صور يمكن من خلاله تقديم تصور لتصميم المبنى ولكن تفيد الوثائق

والصور التاريخية[38] إلى أن البوابة الرئيسية للمبنى كانت مطلة على طريق الصالحية، وتتوسط الأجنحة والتي حوت في ذاك الزمان على ثلاث مستويات للإقامة فيها على الشكل التالي[39]:

- المستوى الأعلى: في الطوابق العلوية خصص لضباط الجيش العثماني ذوي الرتب العالية، وكذلك من علية القوم والبشاوات ووجهاء دمشق ذوي السلطة والجاه العثماني، وجاءت عبارة عن غرفة قبلية غربية كبيرة بسرير واحد تطل على حديقة الخستخانة وبساتينها المتصلة بالهواء القادم من منطقة كيوان وخانق الربوة.

- المستوى الوسطي: عبارة عن غرفة بسريرين، وقد خصصت للضباط الأقل شأناً تطل على طريق الصالحية وبساتين الكركة وبساتين بندق.

- المستوى الأرضي: يدعى بـــ"القاعة"، وتحتوي القاعات على مجموعة أسرة خصصت للجنود الصغار وضباط صف الجيش العثماني، وكذلك عوام الناس، لعدم وجود مستشفى بدمشق يقدم الخدمات الطبية والجراحة بذاك العصر سوى البيمارستان النوري.

ويتوسط ما سبق حديقة كبيرة في وسط المستشفى، وفيها بحرات مائية ومنتزهات ومسجد، إضافة لمطبخ وخدمات التمريض ومركز العطارة– الصيدلية، والحمامات التي أقيمت بالقرب من طريق الجبخانة.

وتحوّل المستشفى العثماني إلى مستشفى عسكري خلال الانتداب الفرنسي، ثم مستشفى تابع لوزارة الدفاع الوطني في الدولة السورية، وأتى وصفه بأنه عبارة عن /25/ بناء مستقل من حجر وآجر وخشب وقرميد، له ثلاثة أبواب على الجادة، يحتوي على /126/ محل لسكن المرضى وثلاثة مماشي مسقوفة، ومطبخين ومحل لتبخير ثياب المرضى ومستودعات للتخزين، وقبو وحمام وحديقة ضمنها بركة ماء؛ وتشير الوثائق إلى أنه هدم في أواخر الستينيات.

الشكل رقم (12) موقع الخستاخانة الميرية العثمانية

المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

الشكل رقم (13) الواجهة الرئيسية للخستاخانة الميرية العثمانية

المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

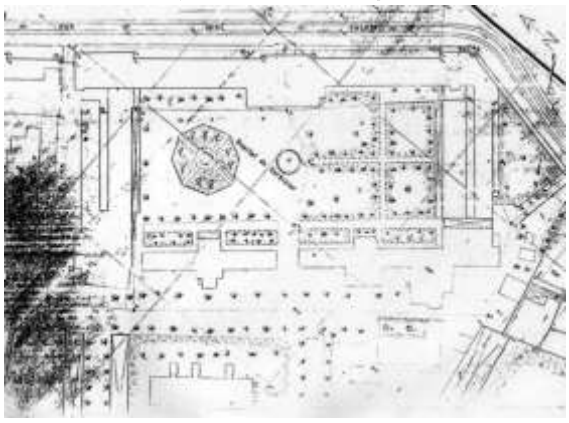

الشكل رقم (14) موقع الخستاخانة الميرية العثمانية.

المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

ب– **مستشفى الغُرباء:** قامت بلدية دمشق بإنشاء مستشفى للغرباء في الجانب الغربي من التكية السليمانية المطلة على المرج الأخضر، وجمعت له إعانات وأُخذ مبلغ من واردات البلدية وأوقاف المستشفى والنوري؛ وبدأ تشييد هذا المبنى في 1899/3/18، خلال ولاية حسين ناظم باشا ضمن الأرض التي كانت تشغلها

مقابر الصوفية، وبملاصقة بستان الأعاجم من جهة الغرب في الشرف الأدنى؛ وقد بني كبديل عن البيمارستان النوري بهدف معالجة الفقراء والأغراب، ومن هنا جاءت تسميته، كما بنيت عند مدخله بركة ماء تبرع بنفقتها رئيس المجلس الطبي العسكري الفريق عثمان باشا من ماله الخاص صدقة عن روح ابنته فاطمة خانم.

عُرف هذا المشفى في أوائل عهده باسم المستشفى السلطاني الحميدي الذي بني في عهده، ثم مستشفى الغُرباء، وصار يُسمى في العهد الفيصلي 1918 – 1920 عهد الحكومة العربية بالمستشفى الوطني، وكان "مكتب الطب" أو كانت كلية الطب خلفه إلى الجنوب.

الشكل رقم (15) الفراغ الخلفي لمشفى الغرباء

المصدر: عدسة الباحث 2016.

الشكل رقم (16) مشفى الغرباء

المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

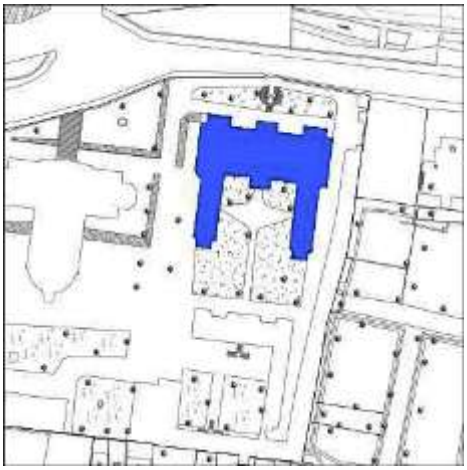

الشكل رقم (17) موقع مشفى الغرباء

المصدر: Damascus, Weper Stefan, Page 549

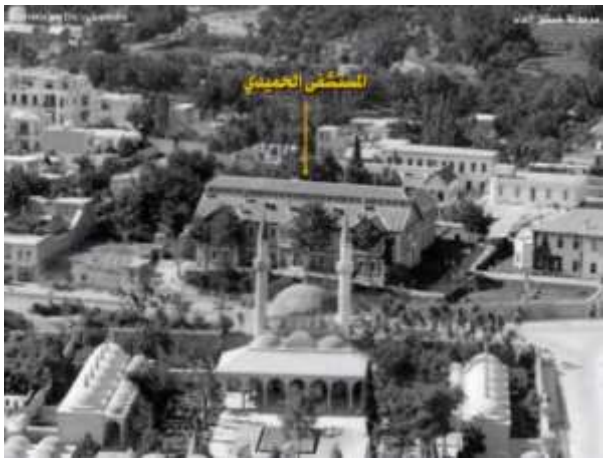

الشكل رقم (18) منظر عام يظهر فيه مشفى الغرباء

المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

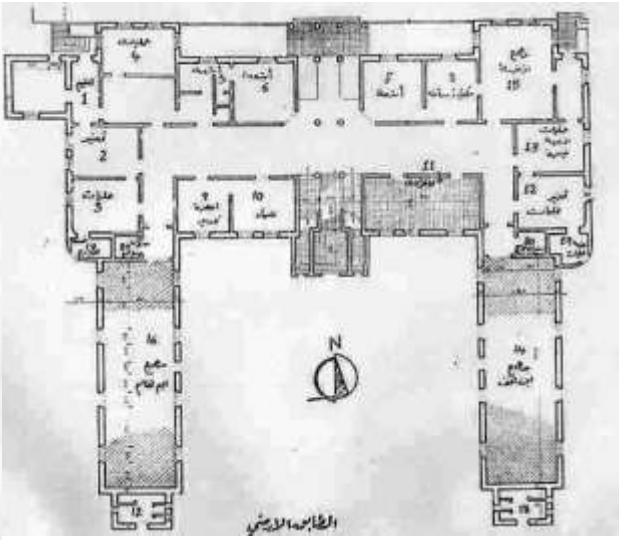

الشكل رقم (19) مخطط الطابق الأرضي لمشفى الغرباء.
المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

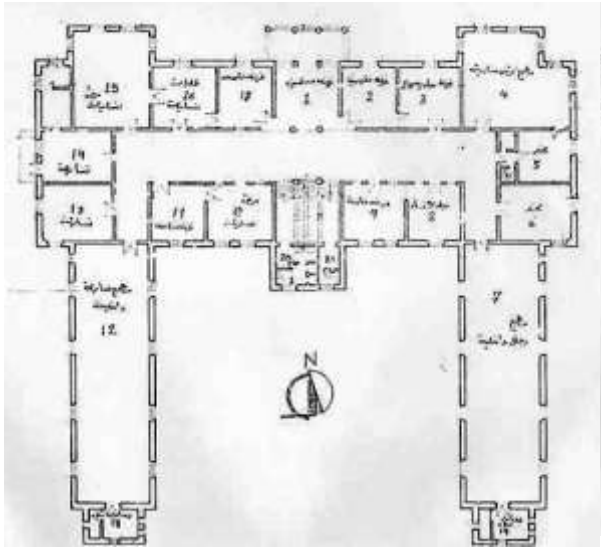

الشكل رقم (20) مخطط الطابق الأول مشفى الغرباء.
المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

المستشفيات التبشيرية:

انطلاقاً من مقولة: "**حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب**"،[40] تم التوجه إلى ربط الحملات التبشيرية الخيرية بالتطبيب بشكل كبير، وحسب بول هاريسون[41] فقد تم العمل على إنشاء مستشفيات ترتبط بجوانب دينية، وانتشر الطب الشافي بقدرة دينية ورعاية متميزة مجانية[42]؛ وظهرت في دمشق كما في المدن العربية العديد من الشواهد المعمارية الهامة لممارسة هذا النشاط، وذلك في نهاية فترة الحكم العثماني، وجميعها أحدثت بفرمانات سلطانية، بغض النظر عن التفسيرات والدوافع، ويمكن ذكر عدد من المستشفيات أهمها:

أ- **المستشفى الدنمركي:** من أقدم المستشفيات في سوريا، يقع في النبك من منطقة القلمون، نظراً لأهمية الموقع الاستراتيجي كنقطة عبور من دمشق إلى مدن الشمال؛ أسسته البعثة الدنمركية التبشيرية في العام 1896، وعرف بالمستشفى الدنمركي وتوقف عن العمل في العام 1914، بقي المستشفى لفترة طويلة حتى العام 1958 تحت رعاية البعثة التبشيرية الدنمركية، وكان يضم طاقم طبي وتمريضي دنمركي بالإضافة لبعض العاملين السوريين؛ وفي أواخر الستينات تم تأميم المستشفى ليصبح مستشفى حكومي عام باسم مستشفى النبك، وقد جرت عدة توسعات للمستشفى، أهمها عام 1995 حيث تم إنشاء بناء جديد كلياً، وتم تحويل المستشفى القديم لقسم نسائية وتوليد، ونظراً لتوفر مساحات إضافية مجاورة يتم إضافة أقسام وملحقات جديدة في المستشفى كلما دعت الحاجة.

وهو مستشفى متفرد بطراز خاص يعكس الطابع المحلي لأبنية المنطقة، مجدداً في واجهاته ومواد بنائه الطراز الريفي الخاص بأبنية القلمون، ولا يزال البناء الرئيسي قائماً حتى اليوم، وهو يتألف من طابقين: طابق تحت أرضي فيه ست غرف ومجموعة خدمات، وطابق أرضي يحتوي على /13/ غرفة وجناح ومطبخ ودورات مياه، يتوسطه حديقة مشجرة.

الشكل رقم (21) صورة قديمة لمدخل المشفى الدانماركي.

المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

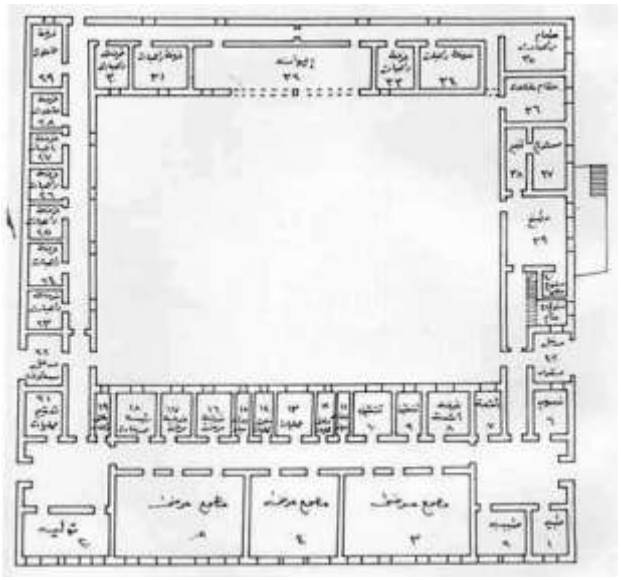

الشكل رقم (22) مسقط المشفى الدانماركي.

المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

الشكل رقم (23) صورة حديثة لمدخل المشفى الدانماركي.

المصدر: عدسة الباحث 2016.

الشكل رقم (25) المشفى الدانماركي.

المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

الشكل رقم (24) واجهة جانبية المشفى الدانماركي.

المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

ب- **المستشفى الإنكليزي:** أسسته البعثة الدنمركية مع مستشفى النبك في ريف دمشق في العام 1896؛ وظلت تشرف عليه حتى بداية الحرب العالمية الأولى، وبعد 7 أعوام على تأسيسه تخلت عنه البعثة التبشيرية الدنمركية إلى بعثة تبشيرية اسكتلندية: "جمعية أدنبرة الطبية التبشيرية[43] – Edinburgh Medical Missionary Society"، ويقول كرد علي بذلك: احتفلت جمعية اسكتلندا الإنكليزية بافتتاح المستشفى الاسكتلندي يوم 24/ أيار/ 1899، الذي أسسته في أرض الزينية على طريق بغداد، وهو في غاية من حسن الهندسة وجمال

الحديقة وسعتها. [44] وأصبح يعرف منذ ذلك الحين بالمستشفى الانجليزي، أو مستشفى فيكتوريا نسبة لملكة بريطانيا، حتى وهبته هذه البعثة إلى الحكومة السورية عام 1958، وتوقف عن العمل؛ ومع استقلال سورية سنة 1946، تحول لمستشفى وطني حكومي وسُمّي "مستشفى الزهراوي" نسبة للطبيب والجراح العربي الأندلسي: أبو قاسم خلف الزهراوي، حيث افتتح كمستشفى متخصص بالعيون وكان الوحيد من نوعه في سورية، لكن بعد ذلك تحول إلى مستشفى عام يقدم خدمات الجراحة العامة، وظل الأمر هكذا حتى عام 1967، حين ارتأت وزارة الصحة تحويله إلى مستشفى متخصص بالتوليد وأمراض النساء؛ يقع في حي القصاع، على امتداد الشارع باتجاه ساحة العباسيين بدمشق، وقد ذكر دهمان في كتابه[45] أن هذه المستشفى شُيدت بموضع قرية "بيت لهيا" التي اضمحلت في القرن العاشر الهجري؛ وهو أول بناء شيد في منطقته؛ لا تتجاوز مساحته الألف متر مربع، إلاّ أنه يقدم خدمات كثيرة، يتميز بنظام المهاجع الانجليزي، حيث لا يوجد غرف للمرضى، إنما يقيمون في مهاجع[46].

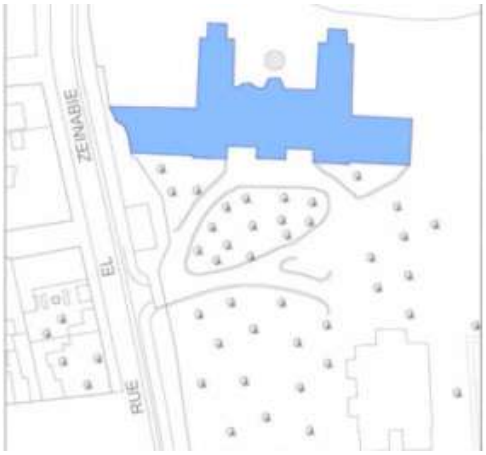

الشكل رقم (26) مستشفى الإنكليزي

المصدر: Damascus, Weper Stefan, Page 549

الشكل رقم (27) مستشفى الإنكليزي

المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

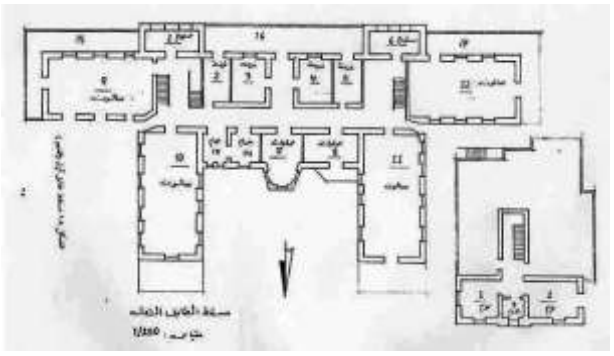

الشكل رقم (28) مسقط الطابق الأول للمشفى الإنكليزي.

المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

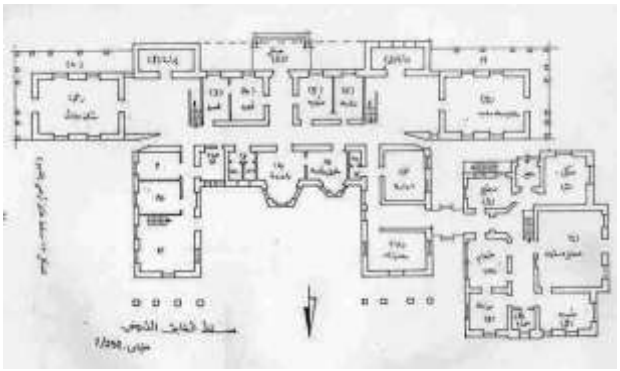

الشكل رقم (29) مسقط الطابق الأرضي للمشفى الإنكليزي.

المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

الشكل رقم (30) موقع للمشفى الإنكليزي

المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

الشكل رقم (31) المستشفى الإنكليزي

المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

الشكل رقم (34) مستشفى الإنكليزي

المصدر: Damascus, Weper Stefan, Page 549

الشكل رقم (35) المستشفى الإنكليزي

المصدر: عدسة الباحث 2016.

ت- **المستشفى الفرنسي:** تأسس بفرمان صادر عن السلطان عبد الحميد في العام 1899 وكان مخصصاً لمرضى الجذام، حيث من المعروف تاريخياً أنه لم يكن أحد يتصل بمرضى الجذام لاعتقادهم بأن المرض معد، حتى جاء القديس منصور وراهبات جمعية المحبة[47]، فأقاموا علاقات مع هؤلاء المرضى وصارت الاتصالات معهم، وبعد ذلك تحول إلى مستشفى شامل يضم جميع الاختصاصات الجراحية، وهو مصمم بأسلوب العنابر والمهاجع.

يقع مبنى المستشفى الفرنسي مقابل المستشفى الانكليزي على مساحة تتجاوز العشرة آلاف متر مربع، في حي القصاع بدمشق، وبشارع باب توما، ويُعرف باسم مستشفى القديس لويس، شُيد سنة 1902، وذكره كرد علي في كتابه باسم المستشفى اللعازري الذي بنته أخوية اللعازريين الفرنسية[48] قبالة المستشفى الاسكتلندي، وكان حسن البناء والتنظيم ومازال قائما إلى اليوم؛ وقد تأسس المستشفى بهدف معالجة الفقراء.

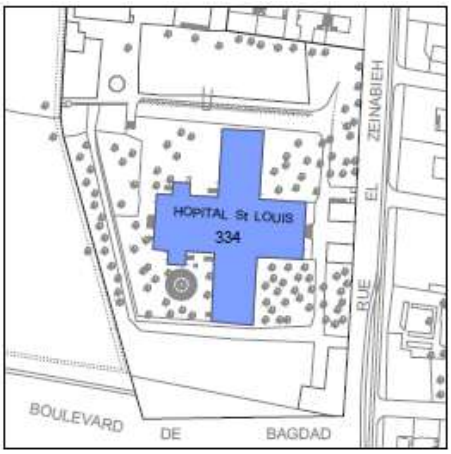

الصورة رقم (36) المستشفى الفرنسي

المصدر: Damascus, Weper Stefan, Page 549

المستشفى الافرنسي ، مشفى القديس لويس ، والشيد عام ١٩٠٢ ـ ١٩٠٤ للميلاد/ عماد الأرمشي

الصورة رقم (37) المستشفى الفرنسي

المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

الصورة رقم (38) المستشفى الفرنسي

المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

الحدائق الداخلية للمستشفى الافرنسي بدمشق مع القبة التركية للبناء يحي الفصاع عماد الأرمشي

الصورة رقم (39) المستشفى الفرنسي

المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

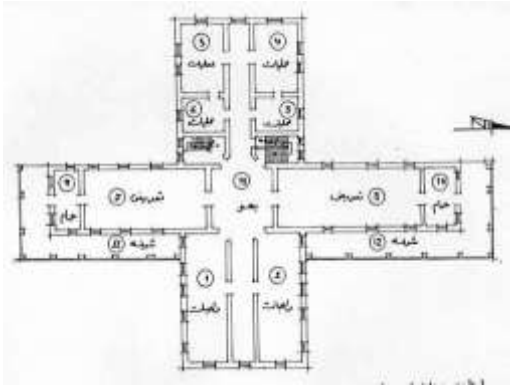

الصورة رقم (40) مسقط الطابق الأرضي للمستشفى الفرنسي.

المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

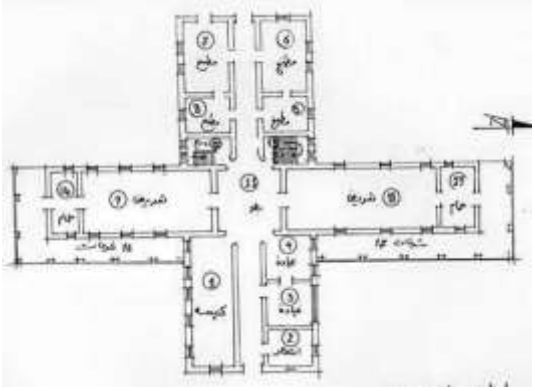

الصورة رقم (41) مسقط الطابق الأول للمستشفى الفرنسي.

المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

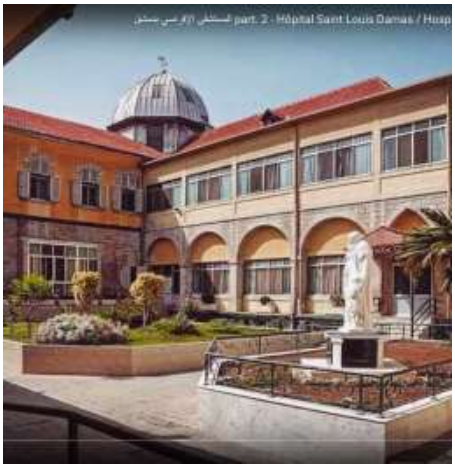

الصورة رقم (42) الفراغ الداخلي في المستشفى الفرنسي
المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

الصورة رقم (43) المدخل الرئيسي للمستشفى الفرنسي
المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

ث- **المستشفى الإيطالي:** شيدته جمعية خيرية إيطالية مشكلة من الجالية الإيطالية المتواجدة في دمشق؛ وهي من تصميم المهندس "بييروموليي" على طراز العمارة الأوروبية بتأثيرات إيطالية تعكس أسلوب عصر النهضة ومنهج الباروك الغني بالتفاصيل الدقيقة والبذخ الجريء؛ بدأ بناء المستشفى عام 1913، إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون افتتاحها حتى عام 1925 حين بدأ تشغيل المستشفى وظل يعمل حتى سنة 1940، تارخ بدء الحرب العالمية الثانية، فاضطر القائمون على المشفى لإغلاقه بسبب الحرب بين إيطاليا وفرنسا وانجلترا، وطلب الفرنسيون المتواجدون في دمشق من العاملين البقاء فيه، لكن من دون أي نشاط، وذهبت الراهبات إلى بيت لحم بفلسطين، وفي العام 1946 عاود المستشفى نشاطاته ، واستمر حتى الآن؛ وقد تم تطوير المستشفى وتعديل المهاجع، وزيادة الاختصاصات الطبية التي يغطيها وتطوير أجهزته، وفي المستشفى حوالي /19/ راهبة يعملن متطوعات، كما يضم مائة طبيب ما بين مقيم وزائر، ويخدم الطبقة الوسطى من المجتمع. [49]

الصورة رقم (44) المستشفى الإيطالي
المصدر: أرشيف موقع الباحث عماد الأرمشي.

الصورة رقم (45) المستشفى الإيطالي
المصدر: Damascus, Weper Stefan, Page 549

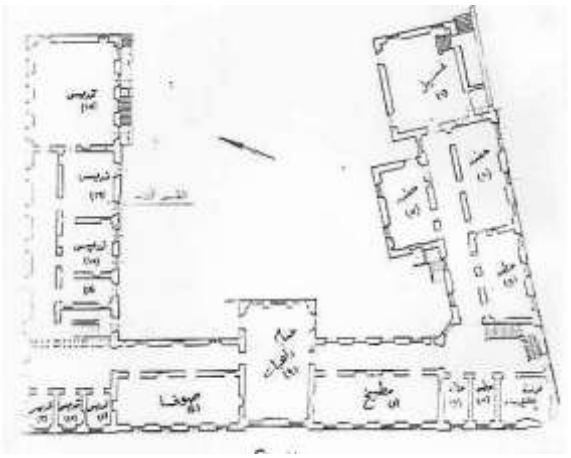

الصورة رقم (46) مسقط الطابق الأول للمستشفى الإيطالي.
المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

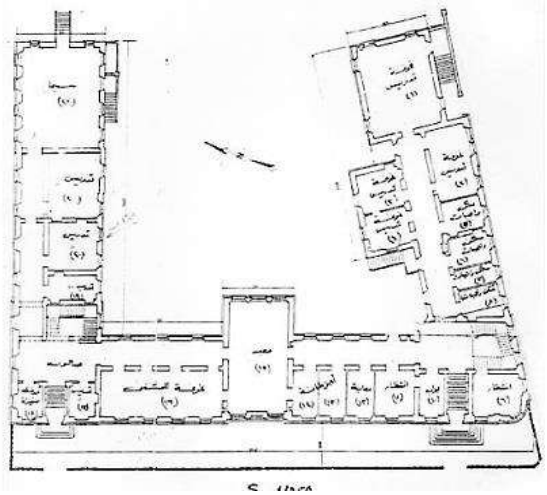

الصورة رقم (47) مسقط الطابق الثاني للمستشفى الإيطالي.
المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف.

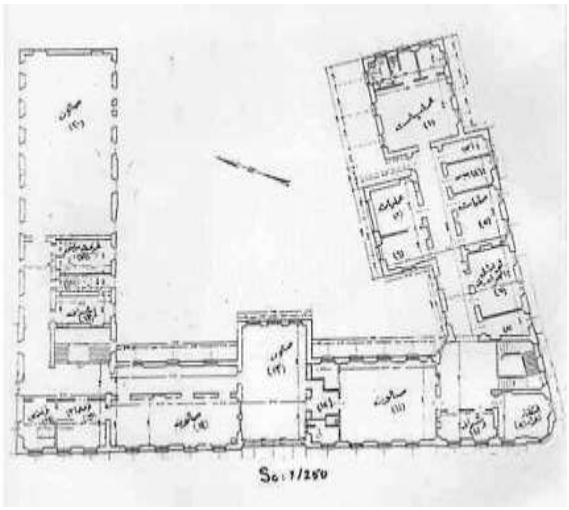

الصورة رقم (48) مسقط الطابق الأرضي للمستشفى الإيطالي.
المصدر: أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف

الصورة رقم (49) المستشفى الإيطالي
المصدر: Damascus, Weper Stefan, Page 549

ج- **المستشفى الألماني:** وهو مستشفى خاص فخم، أسسه ثلاثة أطباء أخوة من عائلة "نخمن" البروتستانتية من حي القيمرية- حارة حمام البكري، وكانوا قد درسوا في الجامعة الأمريكية ببيروت؛ حيث بُنيت المستشفى في شارع بغداد بجانب مدرسة اللاييك في أواخر الثلاثينيات، وجاء المبنى مؤلفاً من ثلاثة طوابق، ومُختصاً بالجراحة العامة والتوليد، كما خصصت عيادة للأطفال؛ وبحسب اسم العائلة "نخمن" الذي يأخذ ملامح ألمانية أو نمساوية، له شهرة كبيرة، وأطلق عليه الدمشقيون اسم المستشفى الألماني، ولا يوجد ما يشير إلى علاقة المستشفى بأية بعثة ألمانية؛ وقد باعت عائلة "نخمن" المستشفى، والمبنى حالياً لا يزال مستشفى خاص يحمل اسم: "الطب الجراحي".

الاستنتاجات والتوصيات:

تعتبر دمشق أنموذجاً من المدن السورية مارست دوراً تاريخياً كبيراً في المجالات الحضارية، كما أنَّ لها دوراً هاماً في تطور العلوم، وكان مضمون البحث موضحاً للدور الريادي التاريخي لدمشق في مجال العمارة الطبية،وقد أكد البحث على أن ازدهار العلوم لابد وأن يرافقه ازدهار حضاري في الأبنية والمنشآت التي تمارس فيها هذه العلوم، وقد صنف البحث المنشآت التاريخية الطبية في دمشق تاريخياً لتتوافق مع أهمية ودور دمشق كنموذج للمدن السورية التي كانت منارات علم وثقافة وحضارة للعالم، وقد أفضت القراءات التاريخية في البحث إلى **النتائج** التالية:

1. أنشأ أبقراط أول مبانيه ومدارسه الطبية في دمشق، قبل 800 سنة من مدرسة جنديسابور الفارسية، وبذلك تكون من أوائل المدن في التاريخ عُلّم فيها الطب بصورة نظامية كما بُني فيها أول بناء طبي تعليمي.

2. إنَّ اعتماد دمشق أحد أهم المدن العسكرية الرومانية في المنطقة "الديكابولس"، هو دليل على وجود المباني الطبية والأطباء فيها لمعالجة المرضى والجرحى.

3. إن اعتماد دمشق بين مدن التترابولس السوري "رباعي المدن السورية" خلال الفترة البيزنطية؛ هو دليل على وجود ثقل ديني وما يرافقه من الأديرة التي كانت مهمتها الرئيسية الرعاية والعناية الصحية والطبية.

4. يشير تصرف الخلفاء معاوية والوليد في إنشاء مباني طبية إلى وجود أطباء محليين في دمشق وإلى عراقة وتقدم الطب فيها؛ وقد تطور الطب في دمشق في الفترات التالية للحكم العباسي، حيث كان الأطباء السوريين خلال هذه الفترة من المؤسسين للمراكز الطبية في أكبر مدن تلك الفترة.

5. لم تشهد فترة الحكم العثماني المبكرة أية تطورات في المجالات الطبية، ويبدو أنها اعتمدت على استمرار المنشآت السابقة لها، باستثناء الفترة المتأخرة التي ظهر فيها مستشفى ومستشفى الغربا.

6. سمح العثمانيون للبعثات المختلفة بتوفير الاحتياجات الطبية فأحدثت عدد من المستشفيات وسميت بأسماء البعثات، ولا يزال معظمها يقدم خدماته الطبية للسكان إلى تاريخ اليوم بمهارات علمية وطبية سورية.

ويوصي البحث بالآتي:

1-العمل على بيان الدور التاريخي الريادي للمدن السورية في نشر العلوم والثقافة على المستوى العالمي من خلال إعداد دراسات عمرانية تربط بين تطور العلوم والمنشآت الخاصة بها تاريخياً؛ وتوثيق جميع المباني التراثية التخصصية، العلمية والصناعية والخدمية في المدن السورية والعمل للحفاظ عليها كوثيقة تاريخية ومعلم حضري أثري.

2-بيان دور الأطباء السوريون كسفراء الصحة والعلم إلى جميع مدن العالم في جميع العصور حتى الآن.

References:

- Safwan AlAssaf, *Towards Better Climatic Responses in Architectural and Urban Design*, College of Architecture, Al Baath University,2002.

- Safwan AlAssaf, *An Intelligent Spatial Data Base for Strategic Housing Management*, International Regional and Planning Studies / Middle East Forum, 1996, 41-61.

- Safwan AlAssaf, *Methods of Predicting Housing Requirements for Local Housing Policy in Syria* , Beirut Arab University Publication, 1995,137-155.

- Safwan AlAssaf, *A Conceptual Model for housing Planning Information System*, Arab Cities Organization (G.C.A.C.O) 10th, Dubai 3, 1994, 2475-2524.

- Safwan AlAssaf, *Data and Information requirements for Housing Planning*, Arab Cities Organization (G.C.A.C.O) 10th, Dubai 3,1994, 2445-2473.

خراط، محمد يحيى، الطب في دمشق في عصر الازدهار، مجلة آفاق المعرفة، العدد/532/ك2، دمشق، سورية، 2008. ص: 314.

0. Berridge, Virginia. "Health and Medicine" in The Cambridge Social History of Britain, 1750-1950, vol. 3, Social Agencies and Institutions, edited by F M.L. Thompson, (1990).

شاهين، عبدالله، تاريخ المستشفيات والطب بين حضارة الماضي وقوة اليوم، مجلة آفاق المعرفة، العدد/568/ك1، دمشق، سورية، 2015. ص: 56.

مثل بردية "ايبرس" التي ترجع للقرن 16 ق.م.، وتعتبر أقدم البرديات حيث يرجح أن تعود إلى عهد الملك دين من الأسرة الفرعونية الأولى /3000/ ق.م، وتعد مرجعا ضخما للأمراض الباطنية، والجلدية والنسائية وأمراض العين والأطراف والأمراض الجراحية.

Bonnet, Hans: Lexikon der ägyptischen Religionsgeschichte. Nikol, Hamburg 2005, ISBN 3-937872-08-6, S. 322–324.

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس، المتوفى: 668هـ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق د/ نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، لبنان، 2010.

الشطي، أحمد شوكت، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، كلية الطب، جامعة حلب، سورية، 1990. ص: 258.

موقع: الموسوعة العربية، دمشق، سوريا.

Safwan AlAssaf, *An Intelligent Spatial Data Base for Strategic Housing Management*, International Regional and Planning Studies / Middle East Forum, 1996, 41-61.

Safwan AlAssaf, *Methods of Predicting Housing Requirements for Local Housing Policy in Syria* , Beirut Arab University Publication, 1995,137-155.

Safwan AlAssaf, *A Conceptual Model for housing Planning Information System,* Arab Cities Organization (G.C.A.C.O) 10th, Dubai 3, 1994, 2475-2524.

Safwan AlAssaf, *Data and Information requirements for Housing Planning,* Arab Cities Organization (G.C.A.C.O) 10th, Dubai 3,1994, 2445-2473.

ابن أبي أصيبعة، 2010، مرجع سابق. ص: 47.

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق: محمد كشاش، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998. مادة: بيمارستان.

مبيض، عامر رشيد، بيمارستانات حلب مفخرة العمارة الإسلامية، دار القلم العربي، حلب، سوريا، 2006. ص: 20.

Kiapokas, Manolis. S., Hippocrates of Cos and the Hippocratic Oath, Athens 2003, p. 247

المدن العشر: أو الديكابولس– Deca polis، تحالف روماني أنشأه الإمبراطور الروماني بومبي عام 64 ق.م ضم عشرة مدن من أهم مدن منطقة بلاد الشام للوقوف ضد نفوذ الأنباط في الجنوب. ووقعت هذه المدن وسط بلاد الشام وجنوبيها، داخل حدود كل من هذه الدول المعاصرة :سوريا والأردن وفلسطين.

Risse, Guenter B. Mending Bodies, Saving Souls: A History of Hospitals, Oxford University Press, U.K., 1999 . P: 59.

Robert L. Fastiggi, New Catholic Encyclopedia, Gale/Cengage Learning, Pennsylvania State University, USA, 2011.

Roderick, E. McGrew, Encyclopedia of Medical History, McGraw-Hill, the University of Michigan, USA, 1985. P:135.

التترابولس السوري Syrian Tetrapolis : "رباعي المدن السورية"؛ هو حلف لأربع مدن في سورية الهيلينية، أقامه سلوقس الأول بعد حصوله على سوريا بعد معركة إيسوس، حيث جعل من مدن هذا الحلف مركزا لإمبراطوريته، واستجلب المستوطنين من اليونان ليقيموا في هذه المدن التي أعيد بنائها في زمنه وتحويلها من مواقع صغيرة إلى مدن مهمة في تاريخ المنطقة.

سارتر، موريس، سورية في العصور الكلاسيكية، ترجمة: محمد الدنيا، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سورية، 2008.

جاموس، بسام ولينا قطيفاني، مواقع التراث العالمي في سوريا، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2012. ص: 256.

ابن عساكر أبي القاسم، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأوائل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، مج 2، ق1، خطط دمشق، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية، 1954.

السقا، مصطفى وآخرون، السيرة النبوية، ج1، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر. ص: 688.

عيسى، أحمد، تاريخ البيمارستانات، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 2011. ص: 11.

محمود، يوسف، الانجازات العلمية في الحضارة الاسلامية ، دار وائل للطباعة، عمان، الأردن، 2004. ص: 105.

مدرسة جُنْدَيْسَابُور: مدرسة قديمة للطب والحكمة في بلاد فارس أنشئت قبل الإسلام واستمرت حتى العصر العباسي؛ وسابور بن أردشير حكم بلاد فارس من 241 م – إلى 272 م واستطاع أن يهزم إمبراطور الروم عام 259 م. ويأخذه أسيرا هو وجيشه، لكنه كان لطيفا في معاملة الأسرى لثقافتهم من ناحية ولرغبته في استثمار مواهبهم من ناحية أخرى، فاستخدمهم في بناء كثير من المنشآت الهندسية مثل الخزانات والقناطر وغيرها، واستقدم للمدينة من ذاعت شهرته من العلماء والحكماء، واستدعى عدداً كبيراً ممن نبغوا في الطب وكانت لهم مؤلفات طبية، وكان منهم الطبيب الشهير تيودورس.

القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، تاريخ الحكماء، تصنيف:جوليوس ليبرت، طبعه لايبتزغ، ألمانيا، 1919. ص: 163.

البيمارستان: بفتح الراء وسكون السين، كلمة فارسية مركبة من كلمتين: بيمار، بمعنى مريض أو عليل؛ وستان: بمعنى مكان أو دار المرضى، ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان، وبيمارستان؛ أوجد البيمارستان منذ عهد الساسانيين وتميز عن باقي دور العناية بأنه ملحق بأكاديمية علمية بدلاً من دار عبادة؛ وجاء العصر الإسلامي ليستثمر في جلب الأطباء المعالجين وإدخال الطب العلاجي والعلم التطبيقي إلى هذا المكان.

صباغ، عبد الناصر ومحمد يحيى، البيمارستانات في الإسلام (النوري والأرغوني)، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، حلب، سوريا، 2009. ص: 79.

المغلوث، سامي عبدالله، أطلس تاريخ الدولة الأموية، العبيكان للنشر، عمان، الأردن، 2011. ص: 153.

الخطيب، حنيفة، الطب عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999. ص: 216 .

ابن أبي أصيبعة، 2010، مرجع سابق. ص: 188.

البابا، مؤمن، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية،

غزة، 2009. ص: 57.
بدران، عبد القادر، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، دار ابن عابدين، دمشق، سورية، 1985.
النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
العلبي، أكرم، خطط دمشق، دار الطباع، دمشق، سورية، 1989. ص: 260.
القيم، علي، متحف الطب والعلوم عند العرب: بيمارستان نور الدين، علي القيم، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 1984.
العلبي، أكرم، 1989، مرجع سابق. ص: 262.
الحصني، محمد أديب، منتخبات التواريخ لمدينة دمشق، دار البيروني، دمشق، سوريا، 2002. ص: 1091 .
مجموعة الصور الخاصة بالباحث عماد الأرمشي، وصور من أرشيف المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق.
علي، محمد كرد، خطط الشام، ج:6، مكتبة النوري، دمشق، سوريا، ط/3، 1983. ص: 159.
خالدي، مصطفى وفروخ عمر، التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1953. ص: 59.
بول هاريسون: Paul Wilberforce Harrison، طبيب مبشر أمريكي، أحد كبار الإرسالية الأمريكية العربية، والمنظر والقائد الأساس للإرسالية الأمريكية العربية، وأحد أنشط قادة الإرسالية، كما انه يعتبر أول طبيب من أطباء الإرسالية كُتب له أن ينجح في الدخول و الوصول إلى داخل شبه الجزيرة العربية وذلك عام 1917.
انظر بول هاريسون، طبيب في الجزيرة العربية، 1940
Paul W. Harrison, Doctor in Arabia, The John Day Company, New York, USA, 1940.
جمعية أدنبرة الطبية التبشيرية: جمعية راعية لمؤتمرات التبشير العالمي في أدنبرة باسكتلندا تتصل مع 159 جمعية تبشيرية في العالم.
Safwan AlAssaf, *Towards Better Climatic Responses in Architectural and Urban Design*, College of Architecture, Al Baath University,2002.

دهمان، محمد احمد، في رحاب دمشق، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1982. ص: 63.
نصر الله، جوزيف، المشفى الفرنسي، مجلة الشرق الأوسط، العدد 8610، 25 يونيو 2002. من الموقع التالي:
http://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=8435&article=109939#.V6WMRqK0fSE
جمعية راهبات المحبة: "البيزنسون"، راهبات كرسن حياتهن للعمل بنشاط في المدارس والمستشفيات وأعمال البر الأخرى. أشهرها: راهبات القديس منصور دي بول، المؤسس لها (1633)، وفي الأقطار العربية كثيرات منهن من أصل عربي؛ مركزها الرئيس في مدينة بيزنسون الفرنسية أسستها القديسة جان أنتيد التي كان قدوتها القديس الروحاني أو محب الفقراء كما هو معروف منصور دو بول؛ حيث درست الراهبة القديسة في الدير الذي سمي باسمه الذي كان يرعى شؤون الفقراء و يهتم بهم، ومن هناك جاءت فكرتها لتأسيس دير باسم المحبة و جابهت ممانعة في البداية ولكن استطاعت في آخر المطاف تأسيس الدير في الحادي عشر من نيسان من عام 1799 بمدينة بيزنسون في فرنسا.
أخوية الآباء اللعازريين: جمعية "آباء أو كهنة الرسالة" أسسها القديس منصور دو بول في أوائل القرن ال17 بفرنسا، لمواصلة رسالة المسيح في العالم لتبشير المساكين وشفاء منكسري القلوب، ولتكوين كهنة المستقبل. والاسم الشائع للجمعية هو: "الآباء اللعازريون"، نسبة لدير القديس "لعازر" بباريس، الذي يمثل سكن الآباء المرسلون الأولون.
نصر الله،جوزيف، 2002. مرجع سابق.